قصة مجمع خلقيدونية وانقسام الكنيسة المسيحية

د. فيروز بيبي(*)

الملخص:

سنحاولُ مِن خلالِ هذا المقال، تتبُّعَ قصَّةِ مجمعِ خلقيدونية الذي انعقد سنة ٤٥١م بأمرٍ مِن الإمبراطور مارقيانوس وزوجته بولخريا. وهذا للنظرِ في القضايا التي تراكمت مِن عهدِ الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني، ولعلَّ أهمَّها الهرطقة الأوطاخية، حيثُ أنَّ الوضعَ المتأزِّمَ وقتَها، كان يستدعي ضرورةَ إضافةِ نصٍّ جديد – لإيضاحِ عقيدةِ طبيعةِ المسيح (الكريستولوجيا•) – إلى نصِّ قانون إيمان الكنيسة الجامعة (القانون النيقاوي القسطنطيني)، حيث اختلفت حولها الكنائس المتصارعة؛ فذهب بعضُها إلى الإقرارِ بالطبيعةِ الواحدة في المسيح، وبعضُها الآخر إلى القولِ بالطبيعتين. كما سنقفُ بالإضافةِ إلى ما ذُكِر، على أهمِّ النتائجِ المترتِّبةِ على قرارات هذا المجمع، وهي التي ساهمت في الانقسام بين الكنائس الخلقيدونية واللاخلقيدونية، وتعرُّضِ الكنائس الرافضةِ له لاضطهاداتٍ متتالية مِن قِبَلِ الأباطرة، وهذا ما أثَّر سلبًا على النظامِ داخلَ الإمبراطوريةِ البيزنطية.

Abstract:

Through this paper, we'll try to follow the story of the Chalcedon Council, which was convened in 451 AD by the emperor Marcian and his

* – قسم العقيدة ومقارنة الأديان –كلية أصول الدين والحضارة الإسلامية – جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية – قسنطينة – الجزائر

wife Pulcheria, to discuss the accumulated issues since the time of Theodosius II, especially the Eutychian Heresy. Accordingly, it was essential to add a new text clarifying the Christological dogma to the Christian decree, where the different churches didn't agree with each other; some confessing the one nature in Christ, and others insisting to the dual nature. Furthermore, we'll also observe the consequences of this council, which had a big role in the schism of the churches: the Chalcedonian and Non-Chalcedonian, and the persecution of those who rejected its decisions, which had a negative impact on the Byzantine Empire.

مقدمة:

منذ صدور مرسوم ميلانو سنة ٣١٣م تغير تاريخ الكنيسة تغيرا محسوسا، إذ ارتفعت من حالة الذل والاضطهاد إلى ذروة التقدم والكرامة العالمية، ودخلت في تاريخها أمور لا شأن للمسيحية بها، إذ أن الكنيسة المسكونية بدأت تدخل في صراعات عقائدية أدت إلى ظهور المتناقضات العنصرية والفكرية والاجتماعية، التي كانت مختفية في القاع من قبل، وقد هددت هذه الصراعات وجود الكنيسة، إذ أحدث انقسامات كبيرة بين أتباعها ، ما قضى على فكرة الكنيسة الواحدة، التي تجمع كل المسيحيين.

وقد قاد هذا الصراع كل من مدرستي الإسكندرية وأنطاكية اللاهوتيتين إذ غالبا ما كانتا تدخلان في تنافس على زعامة العالم المسيحي الشرقي، وكانت الخلافات بينهما تتمحور حول تمايزات لاهوتية وأخرى ثقافية، أصبحت فيما بعد تتمحور على مستوى السياسة الكنسية، وقد سيطرت هاتان المدرستان على الفكر اللاهوتي خلال القرون الأولى وحتى يومنا الحاضر، وأدى صراعهما إلى عقد العديد من المجامع لحل الخلافات العقائدية.

ويعتبر مجمع خلقيدونية الذي انعقد سنة ٤٥١م من أهم المجامع التي انعقدت في تاريخ المسيحية، إذ نجم عن قراراته انشقاق لا زالت الكنيسة تعاني منه ليومنا؛ حيث ابتعدت الكنائس الشرقية " القبطية والسريانية والأرمينية " عن الشراكة مع الكنيستين الرومانية والبيزنطية، كما تم اضطهاد الرافضين لهذا المجمع من طرف الأباطرة، وهذا ما ساهم في تسريع سقوط واضمحلال الدولة البيزنطية خاصة عندما تزايدت داخلها الثورات الاقليمية

التي قادتها مصر، و هذا كله كان مساهما في إحداث ثغرات ساعدت على دخول المسلمين فيما بعد إلى هذه المناطق. من هنا نتساءل عن الأسباب والدوافع والعوامل التي ساهمت في انعقاد مجمع خلقيدونية، وأيضا عن أهم النتائج المترتبة على قراراته، بالإضافة إلى معرفة الموقف اللاهوتي الذي حاولت الكنائس الرافضة لهذا المجمع أن تحافظ عليه.

١-نشوء هرطقة* الطبيعة الواحدة في المسيح " Monophysisme " :

بعد مجمع أفسُس الأول سنة ٤٣١م لم ينته أمرُ الجِدال العقيدي حول المسائل " "الكريستولوجية"، ولم تكن قرارات هذا المَجْمَع المزدَوج، ولا لقاء الوحْدة بين السكندريين والأنطاكيين لتحول أو يحول دون ظهور صراع آخر بين كلا الطرفين[١]؛ حيث أنّ الأحزاب المُختلفة بقيت مُتنازعةً، لكنّ الجديد تمثّل في تغُيّر الشّخصِيات؛ فقد ترأّس فلافيانوس Flavianus القسطنطينية، وخلف ديوسقورس Dioscorus * (٤٤٤-٤٥٤ م) القديس كيرلس Cyril * على كرسيِّ الاسكندرية، وبالرِّغم من أنّ ديوسقورس لم يكن يُمثِّل تعليم كيرلس إلّا أنّه كان مُصِرّاً على المُضيِّ في النِّضال ضدّ المدرسة الأنطاكِية، هذه الأخيرة التّي كان على رأسِها ثيودوروس Theodoretus (٣٩٣ – ٤٥٨ م) الذي كان يُدعَى بـ " أوغسطينوس الشرق " لأنه كان يعد من أبرز اللاهوتيين في ذلك الزمن[٢].

وفي عهد ثيودوروس ازداد نشَاط المدْرسة الأنطاكية ، إذ أنَّه حاول نشر الفكر النّسْطُوري في الشّرق بعد كتابته لكتابهِ المُعنْوَن ب (Eranistes) عام ٤٤٧ م، وبالمقابل حاول تشْويه فكر مدرسة الإسكندرية، وبخاصّة فكر كيرلس الإسكندري المناوئ الأول لنسطوريوس*، وهذا ما أثار عليه معارضةً وسخطاً كبيرين إلى أنْ صَدَر مرسومٌ إمبراطوري عام ٤٤٨م يحرِم نسطوريوس وكتاباته وأتباعِه، كما أنَّ هيباس أسقف الرها قد أثار ردّة فِعل هو الآخر بسبب رسالته إلى ماريس الفارسي ضدَّ تعليم كيرلس الكبير [٣].

وكرَد فعلٍ على النشاط النَّسطُوري في الشّرق، ظهر تعليمٌ متطرِّفٌ في الدّفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة المتجسِّدة لكلمة الله التى علّم بها القديس كيرلس الكبير، وتمثل ذلك في شخص أُوطيخا رئيس دير أيوب بالقسطنطينية[٤]، وسنُلاحظ لاحقاً أنَّ أغلب الأحداث

ستُحاك في عاصمة الامبراطورية الرومانية < القسطنطينية > ما يُوحِي إلى أنَّ وراءَها أهداف سياسيّةٌ تتزيَّن بلبَاس عقَدي .

٢- أوطيخا " أصلُ الحِكـاية " :

وُلد أوطيخا أو (أوتيخيس، أوطاخي أو أفتيشيوس) سنة ٣٧٨ م، وعُيّن سنة ٤٠٨م رئيساً على ديرٍ عظيمٍ في القسطنطينية يضُم ثلاثمئة راهب، وبعد مجمع أفُسس الأوّل أصبح من أشدِّ مناوئي النَّسطورية* تحمُّساً وفي سنة ٤٤١ م استلم الحُكم في البلاط الامبراطوري رجلٌ اسمُه خريسافيوس الذي أصبح ربيبَ أوطِيخا بعد أن وقف على معموديته، وهذا ما أعطاه نفوذاً كبيراً في بيزنطة، فأستغلّه لمحاربة كلّ من لَه صِلةٌ بالنّسطورية[٥] .

كما قُلنا، لقَد حارب أوطيخا الرّاهب النّسطوريةَ بكلُّ قوَّته، وعقَد العزْم على أن يكُون هدفُه الوحيد هو مَحْو النّسطورِية والنسَاطرة، بلّ أكثر من ذلك، إذ حارَب أيضاً كلَّ الذِين وقّعُوا على معاهدة الوِحدة والصُّلح سنة ٤٣٣ م ميلادي، وذلك باستخدام نُفوذِه لدى الامبراطور الذي أصدر سنة ٤٤٨ م قراراً يؤكد القرار السّابق الذي أصدره سنة ٤٣٥ م يقتضي بموجبه حرق الكُتب النَّسطورية أينما وُجدت وتحريم التعاليم النَّسطورية [٦].

وفي الجانب الآخر نجد أنَّ أوطيخا كان من أشدِّ المعجبين بالقدّيس كيرلس الإسكندري، ومن أكثر المتحمّسين لتعاليم كنيسة الإسكندرية فيما يخصُّ << طبيعة المسيح >> ؛ حيث سار بالعقيدة " الكيرلسية" إلى أبعد مدى، متهما بذلك كل من يقول ب " الطبيعتين " في المسيح بالهرطقة، معلنا تمسكه وتبنيه لعبارة كيرلس " طبيعة واحدة بعد الاتحاد " مُؤكداً بذلك على أن الطبيعة اللاهوتية قد ابتلعت الطبيعة الناسوتية؛ حيث تلاشى النّاسوت في اللاّهوت كما تتلاشى نقطة الخلّ عندما تقع في ماء البحر، وبذلك يَعتبِر أنَّ جسد المسيح جسدٌ إلهيٌّ ، وأنَّ النّاسوت قد تألَّه[٧].

وبخصوص الفكرة الأخيرة " تألُّه النّاسوت " نجد أن أوطيخا قد اقتضَبَها من تعاليم القديس أثناسيوس الرسولي* ، إذ أنّها تُعتبر الفكرة الأساسية في تعاليمه والتّي أصبحَت فيما بعد سِمةً للتعليم الإسكندري، وفي هذا الصَّدد يقول القديس أثناسيوس الرّسولي:" لأنَّ كلمة

الله صار إنساناً لكي يُلهمنا نحن، وأظهر نفسه في جسم لكي نحصل على كلمة الآب الغير منظور ..."[٨].

ويذهب بن العسّال [٩] إلى أنَّ أُوطيخا كان يرَى أنّ جسَد المسِيح لطيفٌ، لا يُشبِه باقي الأجساد، لذا فإن الآلام لم تحِل به. وعنده أنَّ طبيعتا المسيح (اللاهوتية والناسوتية) اختلطتا وامتزجتا حتى تبلبَلت خواصُّهما، كما أنَّ كلمة الله لم يتَّخذ له من العذراء جسداً بشرياً من طبعِنا، وإنّما خَلَق له في أحشائنا جسداً حسب مشيئته ووحَّده معه طبيعيا ، كما يَجمد الماء بواسطَة الهواء القارص[١٠].

ولعلّ النقطة الجَوهريّة والأساسيّة في تعاليمه تَكمُن في إيمانه بوجود طبيعتين للمسيح قبل التجسُّد، وبطبيعةٍ واحدةٍ بعد التجسّد[١١]، ومُعتقده يرتكِز على إنكارِه ناسوت المسيح بالكليّة[١٢]. ويبدو أنَّ هذه البِدعة قد نشأت كنتيجة للتّطرُّف في إيضاح كمال طبيعة اللاهوت ضدّ تعليم أريوس الجاحد لها، كما أنَّ هرطقة نسطوريُوس نشأت بسبب تطرّف في إيضاح كمال طبيعة النَّاسوت ضد تعليم أبوليناريوس المُنكِر لكمالها [١٣] .

ويذهب كلٌّ من جورج قنواتي ولويس غردية في كتابهما (فلسفة الفكم الديني ج ٢) [١٤] إلى أنَّ أوطيخا قد أساء استخدام صيغة القديس كيرلس (الطبيعة الواحدة في المسيح) وغيرها؛ حيثُ شَرحَها وأوَّلَها على غير وجهِها، سواء كان ذلك عن جهلٍ أو عمداً، أو بدافِع أغراضٍ أخرى كانت تَخدِم ديوسقورس الإسكندري .

هذا وقد أدّعى أوطيخا أنّه قد كان صديقاّ للقدّيس كيرلس، مؤكّداً على أنّه قد تلقّى منه نسخةً عن قرارات مجمع أفسُس الأول ٤٣١ م، وأنّه قد احتفظ بها مُنذ ذلك الوقت، لذا كان مؤيداً متحمّساً للجانِب الإسكندري في العاصمة البيزنطية[١٥].

لا شكّ أن كيرلس الإسكندري كان يَستعمِل عبارة " طبيعة واحدة " التّي ظنَّ أنَّها من القِدِّيس أثناسيوس وهي في الواقع من أبوليناريوس[١٦] ؛ حيث ورد في رسالته إلى سوكسينسوس ما يلي : "لذلك فحينما تكُون لنا هذه الأفكار فنحْن عندما نقُول إنَّه كان من طبيعتين فنحن لا نَجرح الوحدة، ولكنّ بعد الاتحاد لا نَفصِل الطبيعتين إحداهما عن

الأخرى، ولا نُجزِئ الابن الواحِد غير المُنقسِم إلى ابنَين بل نَقول بابنٍ واحدٍ وكما قال الآباء طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله"[١٧]. كما جاء أيضا في رسالته إلى أكاكيوس أسقف ميليتين ما يلي : " وهكذا فنحن نقول أنّ الطبيعتين اتحدتا ومنهما يكون الابن الواحد والوحيد الربّ يسوع المسيح، كما يَتّفق مع أفكارنا، ولكِنّ بعد الاتحاد حيث أنَّ الانفصال إلى اثنين قد بَطُل الآن فنحن نؤمن أنّه تُوجَد طبيعة واحدة للابن " [١٨].

والمتتبع لتعاليم القديس كيرلس يجد أنّه كان يفضِّل أن يتكلّم على طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسِّدة والمُتأنسة أو على الأقنُوم الواحد، لأن هذا التفضيل يكون بشكل أفضل عند الاتحاد وإسناد كلّ الأشياء المتعلّقة بالمسيح إلى الكلمة بكونِه موضوعاً لكلّ الأفعال الإنسانية والإلهية، فالطبيعة عند كيرلس تعني فردا محدداً يقوم بعمل الفاعل بحكم حقِّه الشّخصي وِفق خصائصه الطبيعية، وهكذا بما أن طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة اختار لنفسه بولادته الثانية ناسوتاً كاملاً وحقيقياً فهو يملك الخصائص الجوهرية والطبيعة المشتركة عند كلّ النّاس [١٩].

أما لفظة " طبيعة " في لغة أنطاكية والقُسطنطينية فكان يقصد بها الخصائص التي تحدّد وتميّز الكائنات بعضها عن بعض، فالطبيعة البشرية تتميّز عن الطبيعة الحيوانية بخصائص محددة كالعقل والإرادة، كما تتميز الطبيعة اللاهوتية عن الطبيعة الناسوتية بالأزلية والقدرة والتنزه عن الألم والفساد والموت، وهذا التفسير الأخير لكلمة (طبيعة) قد وافق القديس كيرلس على استعماله في قانون الوحدة سنة ٤٣٣م [٢٠].

(من هنا كان يتساءل المؤرخون : عندما كان أُوطيخا يقول أنّ المسيح " طبيعة " واحدة بعد التجسّد، فماذا كان يعني بلفظة " طبيعة " ؟ فاذا كان يعني بها (الشخص) على غرار كيرلس، فيكون تعليمه قويماً، أمّا اذا كان يعني بها خصائص الشخص، فعندئذ يُصبح تعليمه خاطئاً، لأنّ الخصائص الإنسانية والخصائص الإلهية في المسيح تبقى كما هي بعد تجسّد الكلمة، ولا تُنسب إلى شخصٍ واحدٍ[٢١]) .

وقد أثارت هذه الآراء (الأوطاخية) زوبعةً جديدةً من الجِدالات الكريستولوجية بين أتبَاع المدرستين الأنطاكية والسكندرية، فالرُّهبان في القُسطنطينية أو في مصر وقفوا داعمين صاحبهم، كما أن ديوسقورس والإسكندرية سَرَّهُم الأمرَ، ذلك أن تعاليمهم بدأت تنتشر خارج حُدود مِصر، بل وفي قلب العاصمة نفسِها، بينما كان الأنطاكيون على النقيض فقد ساءهم ذلك تماماً، وعلى رأسهم ثيودوروس ، وإلى جانبه يوسيبيوس أسقف (ضورله) Dorylaeum في آسيا الصغرى وفلافيانوس أسقف القسنطينية[٢٢]، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشّخصيات المذكورة أعلاه هي التي ستُحرّك رحى الأحداث المقبلة – وهذا ما سنَراه لاحقاً – .

٣- مجمع القسطنطينية سنة ٤٤٨م:

بعد ظهور أفكار أوطيخا نجد أن أتباع المدرسة الأنطاكية لم يقفوا مكتوفي الأيدي، وإنّما بدؤوا بالتحرك؛ حيث قام ثيودوروس بكتابة محاورة طويلة إجابة منه على أوطيخا وقد سماها Eranistes (ومعناها الشحَّاذ)[٢٣]، ولم يتردد يوسيبيوس الضورلي في إعلان عدائه للأفكار التي أذاعها أوطيخا، فاحتكم إلى فلافيانوس أسقف القسطنطينية، الذي دعا بدوره إلى عقد مجمع محلي بالقسطنطينية عام ٤٤٨ م، وقد ترأَسَّه هو بنفسه وهذا لمُعالجة هذه المُشكلة الوليدة، ولما دُعِيَ أوطيخا للمثول أمام الأساقفة، سُئل عمّا إذا كان يؤمن بطبيعتين بعد التجسّد، فأجاب بأنه يؤمن بطبيعتين في المسيح قبل التجسُّد، وبطبيعة واحدة بعده، وهذه العبارة نفسها هي التي تمثّل قانون الإيمان الكنسي والتي جرت على لسان كيرلس (رغم الوفاق الكنسي الظاهري سنة ٤٤٣ م)، كما أنكر أوطيخا بأنه قال أن جسد الله هو جسد المسيح الإنسان، أو أن جسد المسيح ليس من نفسِ جوهر البشر[٢٤].

وبعدها طلب المَجْمَع منه أن يتخلّى عن أفكَاره ويُقِرّ بما ذهب إليه المجمع، وهو أنَّ للمسيح طبيعتين، وأن جسده مطابقٌ لأجسادنا، فأجابهم بأنّه لم يجد عبارتهم هذه لا في الكتب المقدّسة ولا في أقوال الآباء، وأيّد تعليمه بكتابات للقديسَيْن أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير قائلاً : (أنّهما يتكلمان عن طبيعتين قبل الاتحاد، أمّا بعد الاتّحاد فيتكلمان عن طبيعة واحدة، ولكن من دون أن تتغير أو تتحوّل إحدى الطبيعتين إلى الأخرى) [٢٥].

وبناءً على تردّد أُوطيخا في توضِيح أفكاره، ورفضه الإقرار بما ذهب إليه المَجمع تمَّ حرمُه، وقد وقّع على ذلك ٣٠ أسقفٍ، وتجريده من درجته، كما أقرّ المَجمع تعليم (الطبيعتين) [٢٦].(وبذلك تمّ ولأول مرة إقرار صيغة طبيعتين من بعد الاتّحاد للسيد المسيح، ما أحدَث قلاقلَ كثيرةٍ في القسنطينية) [٢٧].

ويُمكن القول أنّ إدانة أُوطيخا تُعتبر إدانةً ضمنيةً للكنيسة السكندرية وأسقفها ديوسقورس، والسبب يرجع إلى أنَّ أوطيخا – كما ذكرنا سابقا – قد استخدم صِيغ كيرلس الإسكندري الكريستولوجية، بالإضافة إلى أنّ ديوسقورس كان من بين السكندريين الذين لم يرضُوا بصِيغة الوِفاق الإسكندري الأنطاكي سنة ٤٣٣ م[٢٨]. ولعلّ هذه الأسباب هي التّي جعلَت الجانب الإسكندري يؤيِّد أوطيخا وذلك باستعمال كل الوسائل[٢٩].

وبعد أحداث مجمع القُسطنطينية نجِد أن كُلّاً مِن الفريقين بدأ يتحرّك لضمان التأييد له؛ حيث كتب أوطيخا إلى البابا ليو يطلب عونَه، كما دارت مُكاتبَات بين هذا الأخير وبين فلافيانوس الذي أرسَل له مِلفاً مُفصّلاً عن القضيِّة الأُوطاخية، وهذا ما جعل البابا ليو يُصادق على ما فعله قرينه فلافيانوس، واعتبر هو الآخر أوطيخا في عداد الهراطقة، وفي الوقت نفسه ضمن فلافيانوس تأييدَ عددٍ ليس بالقليل من السوريين وإكليروس آسيا الصغرى، بينما وجد أوطيخا تأييداً من الجانب السكندري، بالإضافة إلى خصي البلاط خريسافيوس، والملك ثيودوسيوس الثاني الذي كان يميل بدوره إلى الإسكندرية[٣٠].

٤- مجمع أفسس الثاني ٤٤٩ م :

بعد محاكمة أُوطيخا وإدانته في مجمع القُسطنطينية، بدأ ديوسقورس بالتَحرَّك لتأييده، فأرسل رسالةً إلى كل من ذومنس وثيودوروس وكان فحْواها يُشكِّل اتّهاماً صَرِيحاً لهُما بأنَّهما يُفسدان الأُرثوذكسية بمُعتقداتهما الفاسدة ويُسبِّبان القلق والاضطراب داخل الكنيسة الجامعية. فرَدَّ عليه ثيودوروس عارِضاً عقيدته ومؤكّداً على صوابها، وبعد أن وجد أنَّ ديوسقورس مُصر على اتهاماته، ومُستمر في تمسُّكه بصيغة (وحدة الطبيعة) كتب مؤَلَّفه الشهير (المجمع) بصيغة حِوَار، ضَمَّنَهُ جُملاً ومقاطعَ من مؤَلَّفات كيرلس الكبير الذي عدّهُ

في جدول الآباء الكَنسِيين[٣١]،كما كتب أيضاً إلى فلافيانوس يشكُوه ديوسقورس، مُتّهِماً إيّاه بأنّه يُريد فَرضَ سُلطته على كلِّ الكنيسة، وبأنّه لا يتقيَّد بأوامر المجامع المسْكونية، مُتَصدِياً لميثَاق الوِحدة الذي كان الشرقيون يستندون عليه، كما أنه يعتَبر ثيودوروس عائقاً في سبيل مقاصده[٣٢].

وقد استطاع ديوسقورس باستعمال وسائلَ عديدةٍ إقنَاع الملِك ثُيودوسيوس الثاني* للدعوة إلى مَجمع مسْكوني في أفسُس، بعد أن وصلت مَسامِعَه أنباءٌ تؤكِّد عودة النَّسطُورية إلى الظهور[٣٣]، مع أن ليو أسقف روما وفلافيانوس لم يكُونا راغِبِيْن في عقْد هذا المَجمع، إلاّ أنَّ ليو كان يأمَلُ إلى السَعي والقُدرة على توجيه قرارات هذا المَجمع، لذلك أسرع وكتب كتاباً كان قد وعد به فلافيانوس من قبل، وهو الخِطاب المشهُور في التاريخ الكنسي ب (طومس لاون*) [٣٤]. وقد ورد فيه : (أنَّ في المسيح طبيعَتَين كاملتين تماماً مُجتمعتَين معاً في شخص واحد . وقد ظلّت الخاصيِّة أو الصفة المُميِّزة لكُلِّ طبيعةٍ ومادةٍ وجوهرٍ تامّةٍ ومُندمجَةٍ في شخصٍ واحدٍ، الجَلال اتَّخذ لنفسه الاتضاع، الجبروت لبِس الضُّعف، الخُلود ارتدى جسدَ الموت، كلُّ طبيعةٍ في اتِّحادِها مع الأُخرى أدَّت العمليّات المُناسبة لها ... ، فيَسُوع لم يكنْ النّاسوت الحقيقي، ولا اللاّهُوت الحقيقي يُوجَد من دون الآخر) ، وكما نرى فإنَّه ولأول مرَّة غامَر أُسقفٌ من روما لم يكن يعرف إلاّ اللاتينية الدخول في حلبة النزاع اللاهوتي الذي اقتصرت مُصطلحاته الفنيّة على اليونانية [٣٥].

وفي الثامن من أغسطس ٤٤٩ م شهدت مدينة أفسُس توافُد الوفود إليها؛ حيث جاءها مائة وخمسة وثلاثون أسقفا، كان من بينهم عدد ليس بالقليل من الاكليروس المصري، وجوفنال الأورشليمي الذي كان يبحث عن دورٍ ومكانة له ولكنيسته، وفلافيانوس أسقف القُسطنطينية، وثلاثة يُمثلُّون ليو أسقف روما، ومندوبان مراقبان للوضع أُرسِلا من طرف الإمبراطور [٣٦]، و تَجدُرُ الإشارة هنا إلى أنّه قد تَمَّ منْع ثيودوروس القورشي من المجيء إلى المجمع ، بسبب أنَّ جماعة من رُهبان سوريا أشاعوا عليه بأنَّه يُعلِّم بابنين في المسيح؛ حيث سرت هذه الشائعة إلى القُسطنطينية والإسكندرية وصدّقها الناس هناك [٣٧].

هذا ولقد أعطى البلاط الإمبراطوري أمرَه بأنْ يرأس ديوسقورس المَجمعَ، هذا الأخير الذي ظهر في السّاحة مُدافعاً عن الإيمان القويم وصِيَغ سلفِه كيرلس، لكنَّه إلى جانب هذا كان ينوي إذلال فلافيانوس أسقف القُسطنطينية الذي كان مُناوئاً له، وكان كُرسِيُّهُ يحظى بالتفوُّق والتقدُّم على سائر الكراسي الشرقية الأخرى، ولا سيما كرسي الإسكندرية [٣٨]، وهنا تبرُز لنا الدّوافع السياسيّة التي كانت تكمن وراء النِّزاعات الكريستولوجيّة في تاريخ الكنيسة عامّةً والمجامع خاصّةً، ذلك أنَّ الأساقفة كانوا يسعَوْن إلى جَعْل كنائسِهم تتصدَّر المُقدِّمة في السّيطرة على باقي الكنائس الأخرى .

ويبدو أنَّ ديوسقورس قد استعمل وسائل سلفه القدِّيس أثناسيوس حين أعتمد على عصابات الرهبان المسلحة بالعصي لتسيير المجمع حسب إرادته، وذلك ما حدث، إذ قام بتبرئة أوطيخا، وعزل عدة أساقفة مُناوئين له من مناصِبهم، ومن بينهم ثيودوروس القورشي، وهيباس أسقف الرها، وفلافيانوس نِدُّه الأول[٣٩]، كما أمر بحرق كل مُصنّفات ثيودوروس، ولا سيما كتابه الذي كتبه ضدَّ أوطيخا مُتّهِماً إيّاه ببذر التعاليم النسطُورية فيه[٤٠].

بالإضافة إلى هذا نجد أن ديوسقورس قد كان له موقف معادي للبابا ليو أسقف روما، وهذا يظهر في إصراره على عدم تلاوة رسالة العقيدة (Tomus) التي أرسلها ليو ، ولعلّ السبب راجعٌ إلى أنَّ مَضمُونَها مخالفٌ تماماً لتعليم أوطيخا وما تذهب إليه كنيسة الإسكندرية، وحتى عندما احتجَّ مُمثِّلوا الأسقف الروماني على هذا التصرف الذي يخالف الأعراف الكنسية، أجابهم ديوسقورس في حِدّةٍ واضحةٍ : أتريدون استبدال إيمان الآباء ؟ فصاح عندها جميع الأساقفة: ملعونٌ كل من يريد تبديل الإيمان، ملعون كل من يجرؤ على مناقشة الإيمان[٤١].

وهكذا هُيئ للجميع أن الإسكندرية ولاهوتها قد حازا النَّصر في معركة المسيح، وأنَّه قُدِّر لها أن تُحقق الزَّعامة التي كانت تَنشُدها وتظهر أمام الجميع على أنَّها " قلعة الأُرثوذوكسية "، وبذلك تتضاءل إلى جوارها الكراسي الرسولية الأخرى في روما والقسطنطينية وأنطاكية بعد أن كانت الكريستولوجية المتعلقة ب (الطبيعة الواحدة) أو (الطبيعتين) للمسيح تسبب جدلاً

حامي الوطِيس بين كلٍّ هذه الكراسي؛ غير أنَّ هذا النصر لم يستمر طويلاً، فقد بقى قائماً طالما بقي ثيودوسيوس الثاني نصير الإسكندرية حياً، لكن بعد وفاة هذا الأخير في العام التالي مباشرة أي سنة ٤٥٠ م؛ نجد أن هذه السيادة لم تدم أكثر من شهور معدودات[٤٢]؛ حيث أن موازين القِوى بدأت تميل إلى الكفّة الأخرى التي بدت في الأول منهزمةً، وهذا ما سيُساهم فيه تولي مارقيانوس الحكم ودعوته لعقد مجمع خلقيدونية المسكوني .

٥- مجمع خلقيدونية ٤٥١ م :

لقد ذكرنا سابقا أن الأحداث قد تغيرت تماما بعد شهور قليلة من انقضاء مجمع أفسس الثاني؛ خاصة بعد مقتل الإمبراطور ثيودوسيوس إبان سقوطه من فرسه، وتولي أخته بولشريا (بولخريا) Plucheria الحكم، هذه الأخيرة التي كانت بعكس أخيها متعاطفة مع ليو ضد الإسكندريين، ولكي تؤمن مركزها السياسي تزوجت من الجنرال مارقيانوس (مارسيان ، أو مارقيان) الذي كان يسيطر تماما على الجيش، ولعل هذه الظروف الجديدة هي التي ساهمت في تغيير المنظر السياسي في كل من الإمبراطورية و الكنيسة[٤٣]. و في هذا الصدد يذهب المؤرخ جونز إلى أن ترشيح مارقيانوس للعرش كان من طرف السناتو، ورغبة من الجيش، ومن بولشريا نفسها، لهذا فإن أول عمل أقدموا عليه هو إعدام الخصي خريسافيوس صاحب النفوذ والحظوة في القصر، والعدو الأول لأخت الإمبراطور[٤٤].

كان مرقيانوس يعلم جيدا –وبتأثير من زوجته – أن الخلافات الكريستولوجية التي مات ثيودوسيوس الثاني دون أن يجد لها حلا حاسما، لا زالت مصدر اضطراب في الدوائر الكنيسية والمجتمع عامة وفي الامبراطورية، فإذا كان اللاهوت السكندري قد حقق السيادة بتأييد من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في أفسس مرتين على التوالي (٤٣١–٤٤٩م)، فإن كنيسته قد خسرت في الوقت نفسه كنائس روما والقسطنطينية وأنطاكية، وبدا ذلك واضحا فيما بعد؛ خاصة بعد أن أدار الأساقفة المائة وأربعة عشر الذين كانوا مؤيدين لديوسقورس من قبل ظهورهم له بعد عامين فقط ليكونوا في صف الاتجاه المضاد له تماما؛ حيث حكموا بإدانته وقطعه من شركة الكنيسة، ولم يكن مستغربا من أسقف روما أن يعلن أن مجمع أفسس

الثاني ما هو إلا " مجمع لصوص " Latrocinium؛ حيث تمت سرقة الإيمان في صيغة أعلنت في غفلة عن أهله و دون رضا من أصحابه [٤٥].

إلى جانب كل هذا نجد أن خلف فلافيانوس على كنيسة القسطنطينية " أناتاليوس" Anatolius قد كان مصمما على تأكيد ادعاءات كنيستة بأنها تلي روما مكانة؛ حينئذ وجد ليو أن الفرصة سانحة لهدم قرارات " مجمع اللصوص " بحسبه، وسارع في إقناع الإمبراطور بضرورة عقد مجمع عام في خلقيدونية سنة ٤٥١ م، وقد صار يعرف بالمجمع المسكوني الرابع[٤٦].

" ولضمان السيطرة على جلسات المجمع وتحقيق الهدف الذي سعى له الداعون إليه، أصدر الإمبراطور أوامره بإخلاء مدينة خلقيدونية من جميع الرهبان الموجودين بها أو الوافدين إليها، وكان هذا قرارا غاية في الدهاء من مارقيانوس، لأن الرهبان كانوا هم القوة الفاعلة في كل هذه المجامع بنوعيها المسكوني والمحلي، ليس عن معرفة وخبرة عميقة بالمسائل اللاهوتية العميقة، بل بدافع التحيز إلى أسقف يجلونه ويقدرونه حق قدره[٤٧]".

التأم المجمع في اليوم الثامن من تشرين الأول سنة ٤٥١ م في كنيسة القدسية إفيميا بخلقيدونية[٤٨] (في القسم الشرقي من تركيا الحالية) وقد كان عدد الحاضرين ما بين خمسمائة إلى ستمائة، وأغلبهم ينتمون إلى الكنائس الشرقية ما عدا أربعة كانوا يمثلون روما، وهؤلاء الأربعة هم الذين سيطروا على المجمع وعلى جلساته، بتأييد من الإمبراطور وزوجته بولشريا، وكان أول ما فعلوه هو جعلهم لديوسقورس يجلس في وسط الاجتماع كشخص متهم، ومراجعة القرارات التي اتخذت في مجمع أفسس الثاني ٤٤٩ م ورفضها، وقد انحاز الحاضرون إلى جانب مندوبي البابا ليو بعد أن تخلوا عن ديوسقورس وقبلوا الوضع الجديد، إلا أن ديوسقورس لم يذعن قط لأي نقطة حتى بعد التخلي عنه، فحكم عليه وعلى خمس أساقفة آخرين بالعزل، وأعيد ثيودوروس وهيباس أسقف الرها إلى مركزهما، كما استرد فلافيانوس اعتباره حتى بعد وفاته وأدين أوطاخي مرة أخرى[٤٩]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أسباب عزل ديوسقورس كانت إدارية وقانونية وليست عقائدية[٥٠]؛ من بينها إرغامه الأساقفة

على أن يصادقوا على قرارات مجمع أفسس الثاني باستعمال ضغط الجنود الذين كانوا يشهرون السلاح في وجوههم، كما أنه اتهم أيضا بعدم قراءته لرسالة العقيدة التي أرسلها البابا ليو أسقف روما[٥١].

هذا وقد حاول الوفد الروماني جاهدا أن يدفع المجمع الخلقيدوني إلى إقرار الرسالة العقائدية التي بعث بها البابا ليو إلى مجمع أفسس الثاني وجعلها صيغة الإيمان الجديدة ولكن دون جدوى؛ وإن تم اعتبارها إلى جانب رسائل كيرلس السكندري التي أرسلها إلى نسطوريوس وإلى الأنطاكيين مصدرا من المصادر التي استقى منها الأساقفة صيغة الإيمان الخلقيدوني[٥٢].

وبهذا تم تصحيح الموقف، ورد الإعتبار من جديد لعقيدة الطبيعتين بوصفها العقيدة القومية الرسمية لروما والقسطنطينية، وإمبراطورية الشرق والغرب معا، وأصدر بيانا مهره ثلاثمائة وخمسة وخمسون أسقفا بتواقيعهم[٥٣]، وتزامن ذلك مع حضور الإمبراطور وزوجته بولشريا اللذان هددا كل من يقدم تعليما وإيمانا مخالفا لهذا القانون الإيماني بالعقاب و القصاص أيا كان منصبه[٥٤]. و سنقوم بعرض كل من قانون إيمان خلقيدونية و قانون الإيمان اللاخلقيدوني.

٥-١: نص قانون الإيمان الخلقيدوني :

لقد جاء في الصيغة المحددة لقانون الايمان الخلقيدوني ما يلي :

" ربنا يسوع المسيح هو بالنسبة لنا نفس الابن الواحد، الكامل في اللاهوت، والكامل في الناسوت، إله حقيقي وإنسان حقيقي ..، هو نفس المسيح الواحد، والابن الواحد، والمولود الوحيد؛ يعترف به في طبيعتين بغير اختلاط و لا تغيير و لا إنقسام و لا انفصال؛ ولم يلغي الاتحاد إختلاف الطبيعتين أبدا بل بالأحرى حفظت خواص كل طبيعة، و(كلاهما) يتواجدان معا في بروسوبون* واحد وهيبوستاس* واحد، ولكنه الابن الواحد نفسه والمولود الوحيد، الله الكلمة الرب يسوع المسيح ...."[٥٥].

هذا وقد عُرفت تعاليم هذا المجمع أو هذه الصّيغة بـ" Communication Idiomatun " ومعناها حرفيا (تبادل الصفات) ذلك أن الأقنوم الواحد بعينه يتصف بأسماء الطبيعتين وخصائصهما وخبراتهما[٥٦]. وإلى جانب هذا يرى " شادويك " (Chadwick)[٥٧] أن صيغة الإيمان الخلقيدوني أشبه بلوحة من الفسيفساء؛ حيث استمدت عباراتها من مصادر متنوعة أهمها صيغة الوحدة بين السكندريين والأنطاكيين لعام ٤٣٣م، ورسالة كيرلس الثانية إلى نسطوريوس، ورسالة العقيدة التي كتبها ليو الروماني، كما استمدت فقرات منها من كتابات القديس أوغسطين.

وبالرغم من أن قانون الإيمان الخلقيدوني قد احتوى على عناصر مأخوذة من كلا التقليدين السكندري والأنطاكي ، إلا أنه ذهب إلى أبعد من حدود التقليد الأنطاكي في تأكيده على أن الطبيعتان متواجدان معا في بروسوبون واحد وهيبوستاسيس واحد، كما ذهب أبعد من حدود التقليد السكندري في إصراره أن المسيح ينبغي أن يعترف به في طبيعتين[٥٨]. كما أن المتأمل في صيغة الإيمان هذه سيجد أنها تحتوي على ثلاث إقرارات: أولها الإقرار بأن للمسيح طبيعتين، كاملتين، مستقلتين، وهذا كان عبارة عن رد فوري للقائلين بأن المسيح طبيعة واحدة، وهو ما قاله كيرلس الإسكندري، وآمن به إلى حد كبير أوطيخا الراهب؛ ثانيها الإقرار بالمساواة بين الابن و الآب في الجوهر، وفي هذا تقييد لما أذاعته الآريوسية بأن جوهر الابن مغاير تماما لجوهر الآب، وأن الابن مخلوق من العدم؛ وثالثها فكان الإقرار بأن المسيح مولود من مريم أم الاله، وهو عبارة عن رد على نسطوريوس في قوله أن العذراء مريم هي أم الإنسان وليست أم الإله (ثيوتوكوس*)، وهكذا يمكن إعتبار أن قانون مجمع خلقيدونية ما هو إلا محصلة طبيعية لمناقشات وجدالات القرنين الرابع والخامس الميلاديين[٥٩].

٥-٢: قانون الإيمان اللاخلقيدوني :

لقد رفض اللاخلقيدونيون الأرثوذوكس مجمع خلقيدونية متهمين إياه بالنسطرة ما دام قد قبل رسالة " طومس لاون " طبيعتان بعد الاتحاد، وحذف وفق زعمهم عبارات كيرلس " طبيعة

الله الكلمة الواحدة المتجسدة "، و" عبارة اتحاد أقنومي أو طبيعي "، و" عبارة من طبيعتين أو المسيح الواحد من اثنين"[٦٠]. وبالتالي تمسكوا هم الآخرون بقانون إيمانهم المضاد لقانون مجمع خلقيدونية وخلاصته: " الاعتقاد بالسيد المسيح (أقنوم واحد، مركب، وطبيعة واحدة للمسيح مركبة من طبيعتين اللاهوت والناسوت بدون اختلاط أو امتزاج أو استحالة، أو بتعبير آخر وجود طبيعتين متحدتين بطبيعة واحدة، ويجتمع في ذلك جميع الصفات الخاصة بالإنسانية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير وبدون استحالة، وبناء على هذا التحديد، إن اللاهوت كان متحدا بالناسوت بالجسد حين كان يسوع معلقا بالصليب ولم يفارقه لحظة واحدة ..."[٦١].

وقد تمسك بهذه العقيدة فيما بعد – كما سنرى – السريان الأنطاكيون، والأقباط الإسكندريون الذين رفضوا المجمع الخلقيدوني، ونبذوا طومس لاون الروماني، وتمسكوا بالأيمان المحدد في المجامع المسكونية الثلاثة المقدسة، نيقية ، قسطنطينية، أفسس .

٦- نتائج مجمع خلقيدونية :

استمرار الجدل حول العقيدة في المسيح وانقسام الكنائس:

بعد مجمع خلقيدونية المسكوني تم حسم الخلاف كليا ومن جميع الوجوه حول لاهوت المسيح وناسوته ، بالنسبة للكنيسة الغربية لكن ليس بالنسبة للكنيسة الشرقية[٦٢]، ذلك أن الكنائس السريانية والقبطية رفضت تحديد هذا المجمع إذ رأت في عبارة " من طبيعتين " عودة إلى النسطورية القائلة بوجود " شخصين في المسيح "، وبقيت على عهدها متمسكة بعبارة كيرلس الكبير

" طبيعة واحدة متجلدة لله الكلمة"، ومن هنا سميت بالكنائس المونوفيزية (Monophysites) أي القائلة " بالطبيعة الواحدة " [٦٣].

ويمكن القول بأن النتائج المباشرة لقرارات مجمع خلقيدونية كانت ظاهرة في الإنقسام الأول الذي حدث في كنيسة المسيح، ذلك أن الكنائس الشرقية كانت تصف الكنائس

الغربية بأنها " Diophysites " أي تؤمن بطبيعتين في المسيح ، وقد قاد أقباط مصر حركة المونوفيزية في كل الشرق[٦٤].

وإذا كان هذا هو الحال الذي انتهى إليه الأمر ممثلا في الشقاق الكنسي والتنافر العقيدي، فإن قرارات هذا المجمع كانت سببا أيضا في تباعد الهوة بين مصر والقسطنطينية، وفي ترك جرح غائر في نفوس المصريين وكنيستهم، ما جعل الإسكندرية تعلن عن تمسكها الكامل بصيغة كيرلس " طبيعة واحدة في المسيح من طبيعتين " وترفض ما صدر عن مجمع خلقيدونية كليا، بالإضافة إلى تخليها عن استخدام اللغة اليونانية في الصلوات والقداسات في كنائسها، وإحلال اللغة المصرية القديمة (القبطية) بدلا منها[٦٥]. ويمكن النظر إلى هذا الحدث بالإضافة إلى كونه موضوعا عقديا إيمانيا – على أنه تعبير خارجي لنمو الاتجاهات القومية في مصر ضد الإمبريالية البيزنطية المتزايدة التي بلغت أقصى مدى في حكم جيستنيان[٦٦]. ويرى المفكر جورج طرابيشي أن " الفرق الدينية والشيع اللاهوتية كانت تنوب بالضرورة في هذه المجتمعات مناب الأحزاب السياسية والإيديولوجية في المجتمعات الحديثة. ذلك أنها كانت تتمتع على صعيد الشارع وجماهير المؤمنين والعامة، بسلطة موازية للسلطة التي كانت تتمتع بها الكنيسة أو الهيئة الدينية القيمة على العقيدة القويمة على صعيد الدولة، والمثال الذي تقدمه مصر المونوفيزية في القرن الخامس هو خير مثال ذلك أنها قد أعطت لنفسها تعبيرا لاهوتيا من خلال عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح مصادما بعنف لعقيدة روما والقسطنطينية التي كانت تقول بالطبيعتين"[٦٧].

ولعل الخلافات الكريستولوجية الدينية هي التي كانت سببا جوهريا ساهم بدرجة كبيرة في سوء التنظيم الإداري في مصر في تلك الفترة ..؛ حيث كانت قوات الدولة فيها تدعم الملكانيين (نسبة إلى الملك) ، بينما كان على الأرثوذوكسيين (المونوفيزيين) أن يعتمدوا على قدراتهم في كل المجالات [٦٨] .

ورغم المحاولات العديدة المتكررة لتوحيد هذه الكنائس المنشقة والتي تبلورت حولها الإعتبارات القومية والاختلافات الثقافية إلا أنها جميعها لم تفلح في لم الشمل، فلا مرسوم

الاتحاد " هينوتيكون (Hénothique) الذي أصدره الامبراطور زينون (Zénon) سنة ٤٨٢ م، ولا "المجمع المسكوني الخامس" المنعقد في القسطنطينية سنة ٥٥٣ م[٦٩] بدعوة من الإمبراطور جستينيان (Justinien)*، ولا السياسة المعتدلة التي سلكها بعض الأباطرة ولا الاضطهادات التي سلطها أباطرة آخرون على مخالفيهم غيرت شيئا من هذا الانشقاق، بل لعله تفاقم بمرور الأيام؛ حتى إذا جاء الإسلام وانتشر في البلاد التي كانت تحت سيطرة بيزنطة استقبل المنشقون عن مجمع خلقيدونية المسلمون كمحررين من طغيان الروم الكفار في نظرهم رغم انتسابهم جميعا للمسيحية[٧٠].

ولعل فشل هذه المحاولات المتكررة كان سببه أنها كانت دوما تضع مصالح كنيسة عاصمة الإمبراطورية و الإمبراطورية في المقام الأول كما أن مصر قد نهجت لنفسها نهجا مستقلا عن السياسة العامة للدولة[٧١].

على أن أمر آخر على جانب كبير من الأهمية حال دون حدوث هذا الصلح وساهم إلى حد كبير في تأجيج الصراع بينها، يعني اصطراع الكنائس الرسولية على الزعامة فيما بينها، ولا يمكن لأي دارس منصف الفصل بين الصراع الكريستولوجي والاصطراع الكنسي لتحقيق الزعامة، لأن المجامع المسكونية – ومن بينها مجمع خلقيدونية– تضمنت إلى جوار قوانين الإيمان التي أصدرتها، قوانين أخرى كنسية تخص التنظيم الكنسي وترتيب الكنائس الرسولية التي دار الاقتتال بينها زمنا طويلا[٧٢].

ويرى كل من جورج قنواتي ولويس غردية أن " تلك المناظرات والمناقشات التي تبدوا ذات قيمة نظرية محضة إنما كانت ظواهر تنم عن مأساة دينية بلغ تأثيرها من النفس المسيحية يومذاك منتهاه، ولقد مال بعض المؤرخين إلى ألا يروا في ذلك كله سوى نفوذ سياسي لصالح رجل على آخر، أو منطقة على أخرى، فتزيى بالأهداف الكنيسية الدينية "[٧٣].

٧- الرؤية المعاصرة للموقف :

بعد مرور خمسة عشر قرنا على الخلاف والنزاع بين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين تبين أنه لم يكن خلافا على العقيدة بقدر ما هو خلاف على الألفاظ[٧٤]، كما أن كلا الجانبين كان

مكملا للجانب الآخر في تعبيره عن الحقيقة الواحدة وهي أن المسيح كائن واحد إلهي – إنساني، وبمعنى آخر أنه كينونة واحدة لجوهرين قد اتحدا فيه، فالذين قالوا بالطبيعة الواحدة المتجسدة في طبيعتين قد أضافوا " بغير امتزاج ولا تغيير " لنفي الأوطيخية، والذين قالوا بالطبيعتين أضافوا " بغير انفصال ولا تقسيم " لنفي النسطورية[٧٥].

على هذا الأساس تم الاتفاق بين الجانبين في الحوار الأرثذوكسي الرسمي في دير الأنبا بيشوي بمصر سنة ١٩٨٩ م، وفي شامبيزي بسويسرا سنة ١٩٩٠ م؛ حيث تم الاقرار بأرثذوكسية كلا الطرفين، مع قبول كلا الجانبين التعليم اللاهوتي للآخر، واتفق الجانبان على أن كلمة الله هو نفسه قد صار إنسانا كاملا بالتجسد مساويا للآب في الجوهر من حيث لاهوته، ومساويا لنا في الجوهر من حيث ناسوته – بلا خطيئة، وأن الاتحاد بين الطبائع في المسيح هو اتحاد أقنومي حقيقي تام بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال، وأنه لا يمكن التمييز بين الطبائع إلا في الفكر فقط، وأن العذراء هي " والدة الاله "، مع حرم تعاليم كل من نسطوريوس وأوطيخا وكذلك النسطورية الخفية التي لثيودوروس القورشي[٧٦].

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن الكثير من الباحثين المعاصرين قد دعوا إلى ضرورة إعادة فحص وتقييم القرارات التي اتخذت في الأزمنة القديمة والمتصلة بالجدال الكريستولوجي، بصرف النظر عن المبررات التي كان يراها القادة في زمانهم الماضي، مؤكدين على أن قضية مجمع خلقيدونية التي يتناقلها التقليدان الكنسيان الغربي والبيزنطي تحتاج بالفعل إلى تعديل واضح، وأهم هذه الدراسات دراسة الباحث الهندي في.سي.صاموئيل في كتابه " مجمع خلقيدونية– إعادة فحص –[٧٧].

خاتمة:

مما سبق نخلص إلى أن مجمع خلقيدونية ما هو إلا استمرار لحركة الشرخ العقدي في الديانة المسيحية، ويعتبر أول انقسام رسمي، ومن خلال تتبعنا لقصة هذا المجمع يتضح لنا أن المجامع المسكونية كانت تتحكم فيها الأهواء والمصالح الشخصية؛ كما ساهم اتساع الامبراطورية البيزنطية التي تبنت الديانة المسيحية في زيادة الاختلافات هذا بالإضافة إلى

اختلاف اللغة والمصطلحات الكريستولوجية الفلسفية المستخدمة لشرح العقائد المتعلقة بشخص المسيح.

الهوامش :

• الكريستولوجيا: هي مجال دراسة مهتم بدراسة طبيعة المسيح ، خاصة ما يتعلق باتحاد اللاهوت بالناسوت فيه.

* الهرطقة: هي كلمة تستخدم لوصف أي رؤية لا تتوافق مع الراسخ في أي مجال، فهي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، بادخال معتقدات جديدة عليها أو انكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة.

[1]The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge, by Samuel Macauley Jackson, Vol IV, Grand Rapids, Michigan, 1957 pp. 216–217.

* ديوسقورس: هو البابا رقم ٢٥، و عميد مدرسة الاسكندرية اللاهوتية، رسم اسقفا لكنيسة الاسكندرية عام ٤٤٤م، بعد أن خلف القديس كيرلس الاسكندري، في عهده انشقت الكنائس الشرقية عن الكنيسة الجامعة، مما أدى الى نفيه ٤٥١م.

* كيرلس: هو البابا رقم ٢٤، ابن اخت البابا ثاوفيلس الذي تعهد بتربيته الى ان اوصله الى اسقفية كنيسة الاسكندرية، عرف بجدالاته ضد نسطوريوس و مقاومته لافكاره، و في عهده تم اقرار لقب ثيوتوكوس بدل كريستوكوس، اتهم بقتل الفيلسوفة الافلاطونية هيباتيا ،/ توفي سنة ٤٤٠م.

[٢]جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ،ط١ ،دار الثقافة – القاهرة، ص ٢٢٣

* نسطوريوس: ولد سنة ٣٨١م في مرعش شمال سوريا، درس في انطاكية و كان راهبا و خطيبا بارعا ، نصب اسقفا على كنيسة القسطنطينية سنة ٤٢٨م حرمته الكنيسة و اعتبرته من الهراطقة في مجمع افسس بسبب بعض تعاليمه الكريستولوجية خاصة المتعلقة بلقب مريم العذراء .

[٣]حبيب بدر وآخرون : المسيحية عبر تاريخها في المشرق ، ط١ ، مجلس كنائس الشرق الاوسط ، بيروت –لبنان، ص ٢٠٨ .

[٤] المرجع نفسه .

* النسطورية: هو المعتقد الديني المسيحي الرافض لمجمع افسس الاول الذي انعقد سنة ٤٣١م، و ينسب لنسطوريوس الذي كان اسقفا على كنيسة القسطنطينية، انتشر هذا المذهب في بلاد فارس و الجزيرة العربية.

[٥] لويس غردية، جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني، ترجمة: صبحي صالح ، فريد جبر ، ج١، ط ٢ ، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٧٩م، ص٣١٧.

[٦] أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ج١، منشورات المكتبة البولسية– لبنان ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٢٣.

[7] The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge, PP . 216-217.

* أثناسيوس الرسولي: البابا رقم ٢٠ لكنيسة الاسكندرية ، و اشهر رجالها في القرن ٤ م، ولد سنة ٢٩٧م و عرف بنضاله ضد الآريوسية و هذا ما ادى الى نفيه خمس مرات بعيدا عن كرسيه، يعتبر من أعظم الآباء اليونان للدور البارز الذي قام به في حماية قانون نيقية، توفي سنة ٣٧٣م.

[٨] أثناسيوس الرسولي : تجسد الكلمة، ترجمة : جوزيف موريس فلتس ، ط ٧ ، مؤسسة القديس أنطونيوس ، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة – مصر، ٢٠١٢ م ، ص ١٧٣ . ف ٠٣/٥٤.

[٩] مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين ، تحقيق : وديع الفرنسيسكاني ، المجلد الأول، المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية، القاهرة – القدس ١٩٨٨ م ، ص ٣٣٥ .

[١٠] إسحق ساكا : كنيستي السريانية ، ط ٣ ، مطرانية حلب للسريان الأرثوذكس، ٢٠٠٧ م، ص٤٠ .

[١١] جان كمبي : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ج١، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت ،١٩٩٠ ، ص ١٢٨.

[١٢] يوسف زيدان : اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، ط٢ ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٠م ، ص ١٢٥.

[١٣] جراسيموس مسرة اللاذقي : تاريخ الانشقاق ، المطبعة الإبراهيمية ، الإسكندرية ، ١٨٩١ م ، ص ٢١٧.

[١٤] فلسفة الفكر الديني، المرجع السابق، ص٣١٦.

[١٥] تادرس يعقوب ملطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي (في الستة قرون الأولى) ، ط١ ، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج– الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م ، ص ص ٣٥٦– ٣٥٧.

[١٦] سليم بسترس: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت – لبنان، ١٩٨١ م، ص ١٧٣ .

[١٧] مؤسسة القديس أنطونيوس : مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤ ، رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث ، ديسمبر ١٩٩٥ ، الرسالة ٤٥ إلى سوكسينسوس الفقرة ٦٠ ، ص ٩٠ .

[١٨] المرجع نفسه ، الرسالة ٤٠ إلى أكاكيوس أسقف ميليتيني ، الفقرة ١٥ ، ص ٥١ .

[١٩] يوحنا رومانيذس: صيغة كيرلس " طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة أو أقنوم الله الواحد" وخلقيدونية. البحث اقتضبه الباحث من مقال له باللغة الانجليزية: Highlights' in the debate over theodore of mopsuestia's Christology », in the Greek orthodox theological review, vol V , no 2 (1959-1960), pp.157-161

[٢٠] سليم بسترس: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المرجع السابق، ص ص١٧٣– ١٧٤ .

[٢١] سليم بسترس: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المرجع السابق ،ص ١٧٤.

[٢٢] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي (٢٨٤ – ٦٤١ م) ، دار مصر العربية ، حمامات القبة – مصر ، ص ١٦٨.

[٢٣] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

[٢٤] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٦٩ . انظر أيضا : لويس غردية ، جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

[٢٥] غريغوريوس : موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن) ، مكتبة المتينح الأنبا غريغوريوس، ص ص ٢٠٠ – ٢٠٠١.

[٢٦] ايسوذورس : حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك ، ص ص ٢١٠ – ٢١١ .

[٢٧] حبيب بدر وآخرون : المسيحية عبر تاريخها في المشرق ، المرجع السابق ،ص ٢٠٩ .

[28] Henry Chadwick, The Early Church (History of the Church 1), Penguin Book ,1974, p.200.

[٢٩] عبد المجيد الشرقي ، الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ، (د . ط) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٦ م ، ص ٩٤ .

[30] W. H. C. Frend, Rise of the Monophysite Movement, London, 1979, p p . 38-39.

[٣١] خريسوستمس بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، تر : استفانس حداد ، منشورات النور، ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٦.

[٣٢] خريسوستمس بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

[*] ثيودوسيوس الثاني: عرف أيضا باسم ثيودوسيوس الصغير ، اصبح امبراطورا للامبراطورية البيزنطية و حكمها من سنة ٤٠٨–٤٥٠م ، شهد عهده انقسامين عقائديين مسيحيين هما الانشقاق النسطوري و الأوطاخي.

[٣٣] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

[*] طومس لاون: هو نص الرسالة التي بعث بها البابا لاون الكبير للمجمع و تشتمل على العقيدة المتعلقة بطبيعة المسيح حسب الكنائس اللاتينية.

[٣٤] غريغوريوس : موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن) ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

[٣٥] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

[36] W. H. C. Frend, Rise of the Monophysite Movement, pp. 38-39.

[٣٧] خريسوستمس بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

[٣٨]لويس غردية، جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني ، المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

[٣٩] المرجع نفسه .

[٤٠] أسد رستم :كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

[41] Ibid – 244.

[٤٢] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصرفي العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ص ١٧١ – ١٧٢.

[٤٣]جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

[44]J. B. Bury, History of the Later Roman Empire: From the Death of Theososius I. to the Death of Justinian, vol. 1. New York: Dover, 1958, p . 218 .

[٤٥] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

[٤٦] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

[٤٧] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

[٤٨] جراسيموس مسرة اللاذقي : تاريخ الانشقاق، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

[٤٩] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧.

[٥٠] تادرس يعقوبي ملطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي ، المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

[٥١] يؤانس : المجامع الكنيسية ، ص ص ٦٧–٦٨.

[٥٢] رأفت عبد الحميد، طارق منصور: مصر في العصر البيزنطي، المرجع السابق، ص١٧٤.

[٥٣] جورج طرابيشي : مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ، ط ١ ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨ م ، ص ٥٣ .

[٥٤] حنا جرجس الخضري : تاريخ الفكر المسيحي ، ج٣ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص ٢٧٥ .

* بروسبون: شخص، والإصلاح اللاتيني Perssona والإنجليزي Person والفرنسي Perssone. ولقد استخدمت هذه الكلمة لوصف قناع الممثل الذي كان يمثل في المسارح اليونانية وهو مقنع بقناع أثناء قيامه بدوره . فالكلمة تصف إذا حالة الممثل أوالشخص الذي يقوم بتمثيل دور معين. فهو العامل أو المحرك الذي ينسب إليه بعض الأفعال والأعمال والأنشطة التي يقوم بها.

* هيبوستاس: أقنوم و يعبر اليونانيون بهذه الكلمة عن الشيء الموجود بذاته والقائم على ذاته : أو الكائن والموجود بذاته .

[٥٥] في. سي . صموئيل : مجمع خلقيدونية–اعادة فحص– ، ترجمة: عماد موريس اسكندر ، ط ١ ، دار باناريون، مصر، ٢٠٠٩م، ص ص ٦٠٠–٦٠١ .

[٥٦] غريغوريوس : موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن) ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

[57] The Early Church (History of the Church 1) , p . 204

[٥٨] في. سي. صموئيل : مجمع خلقيدونية–إعادة فحص – ، المرجع السابق ، ص ٦٠٠.

* ثيوتوكوس: ThèoTokos و هو لقب أطلق على السيدة مريم في مجمع أفسس ، و معناه " والدة الإله "، ويقابله لقب AnTropoToKos و معناه " أم الانسان " و هو اللقب الذي أطلقه عليها نسطوريوس و أتباعه.

[٥٩] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٧٦

[٦٠] يوحنا رومانيذس: صيغة كيرلس " طبيعة الله الكلمة الواحدة..."، المرجع السابق، ص٨٦

[٦١] اسحق ساكا: كنيستي السريانية، المرجع السابق، ص٤٥.

[٦٢] جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦

[٦٣] سليم بسترس : اللاهوت المسيحي و الانسان المعاصر ، المرجع السابق ، ص ١٧٧.

[٦٤] يؤانس: المجامع الكنسية، المرجع السابق، ص٧٤.

[٦٥] رأفت عبد الحميد ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٧٧.

[٦٦]يؤانس : المجامع الكنسية ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

[٦٧] جورج طرابيشي: مصائر الفلسفة بين المسيحية والاسلام ، المرجع السابق، ص٥٢.

[٦٨] عبد العزيز جمال الدين : تاريخ مصر (من بدايات القرن الميلادي الأول حتى نهاية القرن العشرين) ، ج١، ط ١ ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٣١٧ .

[٦٩] لتفصيل أكثر حول هذا المجمع . أنظر : Hefel. G.J , A History of The Councils Of The Church, ,pp. 331-335. Vol. IV

* جستينيان: امبراطور بيزنطي حكم من عام ٥٢٧ الى غاية ٥٦٥م ، قام بعدة توسعات عسكرية و عدة اصلاحات داخل الامبراطورية ، يعرف بانه " الامبراطور البيزنطي الأخير " ، بعد عهده دخلت الامبراطورية في ازمات كبيرة.

[٧٠] عبد المجيد الشرفي : الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

[٧١] عبد الحميد رأفت ، طارق منصور : مصر في العصر البيزنطي ، المرجع السابق ، ص ١٧٧.

[٧٢] المرجع نفسه .

[٧٣] لويس غرداية ، جورج قنواتي : فلسفة الديني ، المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

[٧٤] سليم بسترس : اللاهوت المسيحي و الإنسان المعاصر ، المرجع السابق ، ص ١٧٧.

[٧٥] حبيب بدر وآخرون: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، المرجع السابق، ص٢١٤.

[٧٦] حبيب بدر وآخرون: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، المرجع السابق، ص٢١٥.

[٧٧] أنظر : في سي صموئيل : مجمع خلقيدونية– إعادة فحص : مرجع سابق .

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- أثناسيوس الرسولي : تجسد الكلمة ، ترجمة : جوزيف موريس فلتس ، ط ٧ ، مؤسسة القديس أنطونيوس ، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة – مصر، ٢٠١٢ م.
- ايسوذورس : حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك .
- بابا دوبولس خريسوستمس: تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة: استفانس حداد، منشورات النور، ١٩٨٤ م.
- بدر حبيب وآخرون : المسيحية عبر تاريخها في المشرق ، ط١ ، مجلس كنائس الشرق الاوسط ، بيروت –لبنان .
- بسترس سليم: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، منشورات المكتبة البولسية ، بيروت – لبنان، ١٩٨١ م.
- بن العسال : مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين ، تحقيق : وديع الفرنسيسكاني ، المجلد الأول، المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية، القاهرة – القدس ١٩٨٨ م .
- جمال الدين عبد العزيز: تاريخ مصر (من بدايات القرن الميلادي الأول حتى نهاية القرن العشرين) ج١، ط ١ ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- الخضري حنا جرجس : تاريخ الفكر المسيحي ، ج٣ ، دار الثقافة ، القاهرة.
- رستم أسد : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ج١ ، منشورات المكتبة البولسية– لبنان، ١٩٨٨ م .
- رومانيذس يوحنا: صيغة كيرلس " طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة أو أقنوم الله الواحد" وخلقيدونية. البحث اقتضبه الباحث من مقال له باللغة الانجليزية:

"Highlightsin the debate over theodore of mopsuestias christology", in the Greek orthodox theological review, vol V , no 2 (1959-1960

- **زيدان يوسف : اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، ط٢ ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٠م .**
- **ساكا إسحق : كنيستي السريانية ، ط ٣ ، مطرانية حلب للسريان الأرثذوكس، ٢٠٠٧م.**
- **الشرفي عبد المجيد ، الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٦ م.**
- **طرابيشي جورج : مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ، ط ١ ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨ م.**
- **عبد الحميد رأفت ، منصور طارق : مصر في العصر البيزنطي (٢٨٤ – ٦٤١ م)، دار مصر العربية ، حمامات القبة – مصر .**
- **غردية لويس ، قنواتي جورج : فلسفة الفكر الديني، تر: صبحي صالح ، فريد جبر،ج٢، ط ٢ ، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٧٩م .**
- **غريغوريوس : موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن) ، مكتبة المتينح الأنبا غريغوريوس.**
- **في. سي . صموئيل : مجمع خلقيدونية–اعادة فحص– ، ترجمة: عماد موريس اسكندر، ط ١، دار باناريون ، ٤٧ شارع كليوباترا ، مصر، ٢٠٠٩م.**
- **كمبي جان : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ،ج١، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت، ١٩٩٠ م .**
- **اللاذقي جراسيموس مسرة : تاريخ الانشقاق ، د ط ، المطبعة الإبراهيمية ، الإسكندرية، ١٨٩١ م .**
- **لوريمر جون : تاريخ الكنيسة (عصر الآباء) ،ط١ ،دار الثقافة – القاهرة.**

- **ملطي تادرس يعقوب : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي (في الستة قرون الأولى) ، ط١ ، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج– الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م .**
- **مؤسسة القديس أنطونيوس : مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤ ، رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث ، ديسمبر ١٩٩٥ ، الرسالة ٤٥ إلى سوكسينسوس الفقرة ٦٠ والرسالة ٤٠ إلى أكاكيوس أسقف ميليتيني ، الفقرة ١٥**
- **يؤانس : المجامع الكنيسية .**

مراجع باللغة الأجنبية:

- J. B. Bury, History of the Later Roman Empire: From the Death of Theososius I. to the Death of Justinian, vol. 1. New York: Dover, 1958.
- Henry Chadwick, The Early Church (History of the Church 1), Penguin Book ,1974
- W. H. C. Frend, Rise of the Monophysite Movement, London, 1979.
- The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge, by Samuel Macauley Jackson, Vol IV, Grand Rapids, Michigan, 1957